سلوا صرف هذا الدهر

قال يفتخر:

[الطويل]

إذا كـــانَ أمـــرُ الـــلَّـــهِ أمْـــراً يُـــقَـــدَّرُ،
فَـكَـيْـفَ يَـفِـرُّ الـمَـرْءُ مِـنْـهُ وَيَـحْـذَرُ[١]؟
وَمـن ذا يَـرُدّ الـمـوْتَ أوْ يـدفـعُ الـقَـضَـا
وَضَـرْبَـتُـهُ مَـحْـتُـومَـةٌ لَـيـس تَـعْـثـرُ[٢]؟
لـقـد هـانَ عـنـدي الـدّهْـرُ لـمّـا عَـرَفْـتُـهُ،
وَإنـي بـمَـا تَـأتـي الـمُـلِـمّـاتُ أخْـبـرُ[٣]
وَلَـيْـسَ سِـبـاعُ الـبـرّ مِـثْـلَ ضِـبَـاعِـهِ
وَلا كـلُّ مَـن خـاض الـعـجـاجـةَ عَـنْـتـرُ[٤]
سـلُـوا صَـرْفَ هـذا الـدهـرِ كـم شـنّ غـارَةً
فَـفَـرّجـتُـهـا وَالـمَـوْتُ فـيـهـا مُـشَـمِّـرُ[٥]
بـصَـارِمِ عَـزْمٍ لَـوْ ضَـرَبْـتُ بـحَـدّهِ
دُجـى الـلّـيـلِ وَلّـى وَهْـوَ بـالـنّـجـم يـعـثـرُ[٦]

(١)، (٢) لا مفرّ من قضاء اللّه تعالى وقدره؛ فالمرء لا يستطيع الخلاص ممّا كتب له. يتّضح أن هذه القصيدة منحولة، ففكرة القضاء والقدر فكرة إسلامية، الموت محتّم على سائر الخلق، ولا فكاك منه.

(٣) الاستسلام للقضاء والقدر يريح المرء، وتكرار الحدث يجعل المرء خبيراً بما يحدث له من عظائم الأمور.

(٤) العجاجة: الغبار في الأصيل، والمقصود الحروب. ثَمّة فروق بين الكائنات فكلّ مخلوق منحه اللّه تعالى خصيصة تميّزه عن غيره؛ لذا فليس كلّ محارب هو عنترة الشجاع، قاهر الأبطال.

(٥)، (٦) يطلب الشاعر من البشر أن يسألوا الدهر عمّا فعله من أفاعيل مع =

دَعُـونـي أجُـدَّ الـسّـعْـيَ فـي طـلـبِ الـعُـلا
فـأُدْرِكَ سُـؤلـي أوْ أمـوتَ فـأُعْـذَرُ[١]
وَلا تَـخْـتَـشـوا مـمّـا يُـقَـدَّرُ فـي غَـدٍ
فَـمـا جـاءَنـا مـنْ عـالـمِ الـغـيـبِ مُـخْـبِـرُ[٢]
وَكَـمْ مِـنْ نَـذيـرٍ قَـدْ أتَـانـا مُـحَـذّراً
فَـكـانَ رَسـولاً بـالـسّـرُورِ يُـبَـشِّـرُ[٣]
قِـفـي وَانـظـرِي، يـا عَـبـلَ! فِـعـلـي وَعـايـنـي
طِـعـانـي إذا ثـارَ الـعَـجـاجُ الـمُـكَـدَّرُ[٤]
تَـرَيْ بَـطَـلاً يـلـقـى الـفَـوارِسَ ضَـاحـكـاً
وَيَـرْجـعُ عـنـهـم وَهْـوَ أشْـعَـثُ أغْـبـرُ[٥]

= الشاعر ولقد استطاع الخلاص من كلّ الأزمات الخانقة، فانجلت الأمور بفضل همته العالية وسيفه الذي لو ضرب بحدّه ظلمة الليل لانفرجت عن نهار وضّاء، وتعثّر الليل مهزوماً بالنجوم، واختلط الحابل بالنابل.

(١)، (٢) يطلب الشاعر من الناس أن يتركوه يسعى في بلوغ ما يتمنّاه من مجد، فإذا أدرك ما ناضل في سبيله، فهذا أقصى آماله، وإن لم يستطع فآخر المطاف موت مريح. لذا لا تخافوا من القضاء المحتّم، فما مرّت به البشرية عبر رحلتها الطويلة خير مخبر عمّا سيحدث لكم.

(٣) لقد توالت الرسل داعين البشر للصلاح ومحذّرين من غضب الخالق والرسول يفتح باب الأمل بدعوته لما في الآخرة من خير يبشّر به.

(٤)، (٥) العجاج: الغبار. يخاطب الشاعر عبلة طالباً منها أن ترى أفعاله في الحرب حيث ترفع الغبار معلنة عن اشتداد المعركة هناك تتحقّق من وجود بطل لا يُغلب يلقى الفرسان باسماً ساخراً بهم وبشجاعتهم، ويعود من ميدان المعركة، وقد فتك بهم، مكلّل الرأس بتاج النصر، تعلوه الغبار.

وَلا يَـنْـثَـنـي حَـتـى يُـخَـلّـي جَـمـاجِـمـاً
تَـمُـرّ بـهـا رِيـحُ الـجَـنُـوبِ فـتَـصْـفِـرُ[١]
وَأجْـسـادَ قَـوْمٍ يـسـكـنُ الـطّـيـرُ حـوْلَـهـا
إلـى أنْ يَـرى وَحـشَ الـفـلاةِ فـيـنْـفِـرُ[٢]

ما الفخر في جمع الجيوش

قال في حرب كانت بين عامر وعبس يذكر قتل زهير بن جذيمة:

[الطويل]

إذا نـحـنُ حـالَـفْـنـا شِـفَـارَ الـبَـوَاتِـرِ،
وَسُـمْـرَ الـقـنـا فَـوْق الـجـيـادِ الـضّـوَامـرِ[٣]
عـلـى حـرْبِ قَـوْمٍ كـانَ فـيـنـا كِـفَـايَـةً
وَلَـوْ أنّـهُـمْ مِـثْـلُ الـبِـحَـارِ الـزّوَاخـرِ[٤]

(١)، (٢) إن الشاعر لا يرجع من المعركة إلا وقد طرح الأبطال جثثاً خامدة بلا رؤوس، فإذا بالريح تنفخ بها زمجرة الموت الرهيب. وإذا بالأجساد بموكب الموت الحزين تحيط بها الطيور الكاسرة فتنهش لحومها، ويكتمل المشهد المرعب باجتماع الوحوش الكاسرة حولها.

(٣)، (٤) البواتر، واحدها باتر: السيوف القاطعة. يعتدّ الشاعر بقومه إذا اجتمعوا على أمر واحد؛ فهم يُحالفون السيوف الباترة والرماح السمر ويمتطون الجياد المعتادة على الجولان في الحرب، فإذا أراد قتال قوم كانوا كفاءً لأعدائهم مهما كانت أعداؤهم كثيرة العدد كالبحار الزاخرة بما فيها من عتاد وعدد.